ملخص حول موضوع المداخلة: القراءة في الزمن الرقمي: ملامح التغيير ومتعة التلقي

Abstract of the Intervention Topic: Reading in the Digital Age: Features of Change and the Pleasure of Reception

أسماء عينوش

جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس. المغرب.

البريد الإلكتروني الرسمي من الجامعة: ainouch.asmae80@gmail.com

مستخلص البحث

أدخل التطور التكنولوجي الأدب في هذا العصر، مرحلة جديدة من التجريب والإبداع، وفتح أمامه طرقا سردية لم تكن ممكنة من قبل، جمعت بين الصورة والصوت والحركة. فقدمت لنا تجربة قراءة غير مألوفة، قراءة متعددة الأبعاد، تتحدى المفاهيم القديمة للكتابة والقراءة، وتعيد تعريف العلاقة بين النص والقارئ، بشكل تجعل هذا الأخير مشاركا فعّالا في تشكيل النص وليس مستهلكا فقط .

إن النص الأدبي التفاعلي يركب التحدي، حيث يقدم بدائل أمام الأساليب الأدبية التقليدية ويعد بأشكال سردية حديثة، تفتح أمام القارئ الرقمي آفاقا جديدة لاختيار مساره بحرية وفق إرادته الخاصة. داخل الشاشة الحاملة لهذا النوع الجديد من الأدب، يشارك عبرها القارئ الرقمي بطريقة فعلية في تشكيل النص ومعانيه، ويضيف عمقا وتنوعا لتجربة القراءة، مما يزيد من متعة التلقي ويعزز تفاعله مع المحتوى. ماهي التحديات التي يواجهها القارئ الرقمي وهو يخوض هذه التجربة؟ كيف يمكن له لمّ شتات هذا الجنس الأدبي المتشعب ويولف بين علاماته السمعية والبصرية؟ بل هل له القدرة على التفاعل معه بالمستوى والكفاءة اللذين يتفاعل بهما مع النص التقليدي؟

كلمات مفتاحية : الزمن الرقمي، القراءة، المتلقي، الرابط، الوسائط الرقمية.

Abstract

Reading in the Digital Age: Changes and the Aesthetics of Reception Recent advancements in technology have ignited significant discussions, propelling literature into a new phase of experimentation and creativity. These innovations have brought forth narrative techniques that were previously unattainable, effortlessly merging images, sound,

and movement into the art of storytelling. This transformation has resulted in a unique, multidimensional reading experience that challenges conventional ideas of writing and reading, while redefining the connection between text and reader. In this evolving landscape, the reader shifts from a passive recipient to an active co-creator of meaning. Interactive literary works embrace this evolution by providing alternatives to traditional literary structures and introducing groundbreaking modes of narration. These new formats present exciting opportunities for digital readers, enabling them to explore texts through self-directed pathways. Within the digital framework that underpins this emerging literary practice, readers actively engage in shaping both the text and its interpretation, thus enriching and diversifying the reading experience. This involvement enhances the enjoyment of reception and cultivates a deeper bond with the content. Nevertheless, several critical questions emerge: What obstacles do digital readers encounter as they delve into this intricate literary terrain? How can they reconcile and integrate the disparate elements of hypertextual genres—auditory, visual, and textual components? And to what degree can they attain a level of interaction and interpretive ability that is comparable to their engagement with traditional printed materials?

Keywords : Digital Age, Reading, Recipient, Link, Digital Media.

المقدمة

عرفت الألفية الثالثة حضوراً قوياً لمصطلح الرقمنة، والذي شغل بال العديد من المهتمين والباحثين في مجالات عدة. حيث تم الانخراط فيها ومواكبة مستجداتها والعمل على تطويرها بما يخدم الفرد، إلى أن أصبحت كل المجتمعات رقمية بامتياز. وخلال هذه المرحلة، تحولت وتغيرت جميع الأشكال التعبيرية من الشفهية إلى الكتابية، وصولاً إلى الرقمية. عرف خلالها مفهوم النص تغيرات عدة، سواء على مستوى البناء والتشكل أو على مستوى القراءة والتلقي. فتغيرت خصائصه بتغير حامله، الأمر الذي ساعد على ظهور مفاهيم جديدة ساهمت في إثراء النصوص وتعزيز قدرتنا على التفاعل.

فبرزت حلقة النص الأدبي التفاعلي، باعتباره جنسا أدبيا حديث الظهور. شكّل نقلة نوعية على مستوى الإنتاج والتلقي. حيث انتقل من طبيعته التقليدية الورقية إلى جنس جديد داعب خوارزميات الحاسوب وعانق شاشته. وُلد من رحم التكنولوجيا، واستثمر كل ما تتيحه بانفتاحه على شبكة الأنترنيت وعوالمها، ليقدم رؤية جديدة في عالم الأدب تستجيب لروح العصر الرقمي وتطوره. مكسرًا بذلك كل القيود

الكلاسيكية التي ارتبطت بالحامل الورقي، فأصبحت القراءة إبحاراً حراً بين وحداته النصية وغير النصية التي تنوعت بين الصور ومقاطع الفيديو والحركة والصوت والأشكال المتحركة، مجتمعة في حامل واحد. فكيف ساهمت التكنولوجيا في بناء النص الأدبي التفاعلي؟ وما مدى تأثير الوسائط الرقمية في بنية هذا الجنس الأدبي الجديد؟ بل وماهي التحولات التي طرأت على بنيته وهو ينتقل من حامله الورقي إلى الحامل الرقمي؟ ما مدى قدرة هذه النصوص على تحقيق سرد متكامل في ظل تعدد بداياته وتباين مساراته وتشعبها؟ بمعنى آخرما مدى نجاعة هذه المزاوجة بين الأدب والتكنولوجيا خاصة في العالم العربي؟

طريقة البحث

وقد اعتمدنا في مقاربة هذا الموضوع على منهج تحليلي وصفي يستند إلى قراءة الظاهرة الرقمية في بعدها الأدبي والتفاعلي، مع التركيز على مظاهر التغيير التي مسّت بنية النص وأساليب تلقيه. مع الاعتماد على المنهج المقارن في دراسة أوجه التشابه والاختلاف بين الأدب التفاعلي والأدب الورقي الكلاسيكي، وكيف أن لكل منهما حامله وبنيته الخاصة. حيث تم التركيز في هذا الجانب على كشف التحولات الجوهرية على مستوى البنية والشكل والمحتوى وطرق تلقي النص باعتباره كيانًا مفتوحًا وتفاعليًا.

النتائج والمناقشة

بناء النص الأدبي التفاعلي وجمالية إخراجه.

لقد شكّل النص الأدبي التفاعلي طفرة نوعية في تاريخ الكتابة الأدبية، والذي لا يكشف فقط عن تطور النص الأدبي، بل يكشف أيضا جوهر التحولات التي شهدها التفكير الإنساني ورغبته العميقة في استكشاف آفاق جديدة من التواصل والتعبير عمّا يخالجه من أفكار مترابطة. إنه نص يجمع بين خصائص النص الورقي التقليدي وخصائص جديدة فرضتها طبيعة الحامل الرقمي وطبيعة النص الأدبي التفاعلي، التي تأسس على روح اللاخطية (la Non-Linéarité) والترابطية ((L'hypertextualité والتفاعلية (L'interactivité)، من خلال اعتماده على عناصر متعددة العلامات ليست الكلمة فيها إلا جزءا من الكل. ليقدم لنا أشكالًا جديدة من الإبداع، تربط بين النصوص والصور والمقاطع الصوتية والفيديوهات يتم برمجتها عبر روابط متشعبة. وهو ما يعكس بقوة روح التفاعلية التي أفرزتها التكنولوجيا الحديثة.

هذه الروابط المتشعبة تمثل عنصرا أساسيا في تنظيم وبناء هذا الجنس الأدبي الجديد. حيث يتم استخدامها للربط بين عدة معلومات ووحدات نصية وغير نصية. وهذا النوع من الربط يعزز جمالية الإخراج بشكل يفسح المجال للقارئ الرقمي لاكتشاف مسارات متنوعة من القراءة، ويجعل الكاتب "يتوقع ممارسات قراءة متنوعة من خلال ربط نصين عبر رابط إلكتروني"، Alexandra Saemmer, 2015 :17 p) بطرق ذكية مبتكرة، تواكب التحول الدي يعرفه العالم. وهو ما يزيد النص جمالا وثراء، ويفسح المجال أمام نصوص تضفي عمقا وتنوعا لتجربة القراءة.

هذه العملية لا يمكن أن تتم إلاّ على الحاسوب، ذلك أن طبيعة هذا الجنس الأدبي المبنية على التشعب، والربط بين شذرات ووحدات نصية متعددة العلامات، تجمع بين النصوص المكتوبة والصور والأصوات، مما خلق تجربة تتخطى الحدود التقليدية للأدب المطبوع بطريقة متطورة حديثة غيّرت نمط عرضه وإنتاجه وتلقيه .

في ذات السياق يوضح الدكتور إبراهيم عمري أن " الكتابة الأدبية عندما تتعلق بالرقمي كما سبقت الإشارة إلى ذلك، لا يمكن اختزالها في جهاز العرض وربطها آليا بالحاسوب، بل إنها تعكس في الحقيقة رؤية وتصورا جديدين للعالم وللكتابة ذاتها، واختيارا لأساليب فنية وبلاغية مختلفة، وتجريبا لأشكال إبداعية غير مسبوقة، وتوسيعا لهوامش حرية الكتابة والقراءة على السواء" (إبراهيم عمري، ٢٠٢٤، ص: ٢٧٨.) هكذا يمكن القول أن الأمر لا يعدو أن يكون مجرد استخدام جديد لأدوات التكنولوجيا في الكتابة، بل هو امتداد طبيعي لما يعيشه المبدع من تشعب وتعقيد، وامتداد أيضا لروحه الإبداعية التفاعلية القائمة على الترابط في هذا العصر الرقمي. مما أعطى دورا أكبر للقارئ الرقمي بإشراكه بطرق جديدة في عملية التأويل وإنتاج المعنى. وهو ما أتاح تحليلا أعمق لكيفية تفاعل السرد مع هذه الوسائط.

يبدو إذا "أن أهم مزايا الثورة الرقمية في تطور مفهوم "الكتابة" و"الإبداع" و"الأدب" هو دخول التفاعل طرفا في العملية الأدبية، بعد تغير مفهوم "الوثيقة" من مجرد كتاب أو مجلة ثابتة إلى وثيقة إلكترونية تفاعلية تضم إلى جانب الأشكال الخطية (نص، صورة،....) أشكالا حسية وحيوية منشطة ومتحركة تعرض في أشكال طبقات فائقة بحيث يتصفحها القارئ ويبحر فيها حسب تمش مشخص لتطلعاته ورغباته وباعتماد

التقنيات الحديثة للاتصالات. تعد هذه الوثيقة بطابع مجرد وافتراضي فيه المسافات والزمان". (حياة الخياري، ص: ٢٧٩)

بفضل هذه الإمكانات التقنية الجديدة، أصبح النص مفتوحاً أمام كل مستخدم لعدة تأويلات تختلف باختلاف القرّاء، بل تختلف بتعدد القراءات عند القارئ الواحد نفسه. وهذا ما يبين تحرر النص التقليدي من نمطيته، وتكسير خطيته وتسلسل أحداثه، لصالح نص ترابطي تتداخل فيه مختلف الوسائط الحديثة، فتغيرت بنيته، ووجد بدائل عن الحروف الهجائية، واتسعت دائرة الإبداع من البياض الورقي إلى استخدام الرموز والأكواد المعلوماتية التي تُعرض على الشاشة بأشكال مختلفة وقابلة للقراءة.

بهذا الشكل صار النص الأدبي التفاعلي عملاً فنيًا ديناميكيا دائم التحول متعدد الوسائط، أعاد تشكيل ملامح النصوص المكتوبة وطرق تداولها، بل أعاد أيضا تشكيل العلاقة بين المؤلف والقارئ والنص. إنه كيان متعدد الرموز والعلامات، يستمد خصائصه من حامله الرقمي الذي ألبسه حلة التفاعلية والترابط والتشعب بشكل لاخطي وغير تراتبي. وهنا لابد أن نشير إلى أن "عدم ثبات الوحدة النصية لا يختص فقط ببداية النص أو منتصفه أو نهايته، بل تمتد هذه الخاصية لتشمل النص كله، إذ يمكن أن تتعدد بداياته كما يمكن أن تتعدد نهاياته، وكذلك يمكن أن تتعدد و تختلف مراحله المتوسطة بين البداية و النهاية.....ومن شأن هذه الآلية أن تعزز خاصية التفاعل التي تمثل عصب العملية الإبداعية، إذ تقوم على تفعيل دور المتلقي تجاه النص–كما دعت إلى ذلك النظريات النقدية الحديثة–بتوفير روابط متعددة أمامه، يختار منها الرابط الذي يريده ليكمل رحلته مع النص وفق اختياراته هو من المتاح له، وهذا يمكن أن يعد شكلا من أشكال تحفيز القارئ على المشاركة في تشكيل بنية النص" . (فاطمة البريكي، ٢٠٠٨، ص: ١١٢)

" فالنص التفاعلي بات نصا مفتوحا بلا حدود، حيث المؤلف يبدأ النص ومستخدمو الرقمنة لهم حرية إكماله كما يشاؤون ،أي أن المتلقي يصبح مشاركا في الملكية الفكرية للنص التفاعلي، بمعنى إلغاء فكرة المؤلف الوحيد، وإلغاء الحدود بين طرفي العملية الإبداعية (المبدع/المتلقي) يلغي كذلك الحدود بين النص والأجناس والفنون وحتى العلوم، بحسب ثقافة ومعارف المتلقي الذي يمكنه أن يختار نقطة البداية لدخول النص، والاختلاف في اختيار البدايات يؤثر حتما على سيرورة الأحداث ،وبالتالي على بناء النص، و حين

تتعدد البدايات تتعدد النهايات وهو ما يمكن قراء النص المترابط من أن يدخلوا في حوارية أثناء القراءة. ". (عمر عاشور، ٢٠٢١، ص: ١٥٥٧، ١٥٥٨)

إنه نمط جديد من الإبداع استغل الإمكانات الواسعة التي وفرتها التقنيات الرقمية، وسمح للقارئ الرقمي أن يتحرك بحرية بين عقده وروابطه. مما أتاح له تجربة قرائية تفاعلية وحسية متميزة فتحت أمام المبدعين استثمار آليات جديدة والاستفادة من إمكانات النص المترابط لتعزيز التجربة الحسية ولتطوير أشكال سردية جديدة. إن الرقم في علاقته بالأدب لا يعني مجرد الرقم في ذاته، إنما هو وصف للبيئة التي احتضنها أو الوسيلة التي اتخذها الإبداع في الإنتاج والإخراج والتلقي. وهو ما منحه طابع التفاعل والقدرة على التشكل من جديد، بشكل يراوغ المتلقي ويورطه في بناء المعنى.

لقد منحت هذه التركيبة الجديدة والمختلفة للنص وجوداً مغايراً لكل من منتجه وقارئه؛ إذ أصبح القارئ قادراً على اختيار روابط والاستغناء عن أخرى، كما يمكنه أن يبدأ القراءة من حيث يشاء دون مراعاة الوضع البنيوي للنص. وهكذا تغير دوره من التلقي السلبي إلى التلقي التفاعلي، الذي يحوّل هذا العمل إلى منتَج ثانٍ للعملية الإبداعية، حيث يتفاعل المستخدم مع النص عبر تنشيط الروابط، فيختار ما يناسبه من المسارات القرائية المتعددة.

وهو ما يوضح تحرير النص السردي التقليدي من نمطيته وتكسير خطيته وتتابع أحداثه التي تتكون من بداية ووسط ونهاية. في حين نجد النموذج السردي التقليدي خطي بشكل جوهري، تعتمد بنيته على التراتبية في تسلسل زمني خطي للأحداث والمعلومات، يتكون من بداية وسط ونهاية. وتكون الروابط فيه بين الأفكار ضمنية تحتاج إلى مجهود ذهني لتتبعها. في المقابل كسر النص الأدبي التفاعلي هذا الثبات في التتابع وتنظيم السرد، وضعت فيه الروابط بشكل صريح ومباشر، مكنت المستعمل من الانتقال المرن بين أجزائه المختلفة، مما يسهم في إثراء التجربة القرائية ويجعلها أكثر ثراءً وتنوعًا .

إن القارئ يختار بحرية تامة مساره في هذا الفضاء السردي المعقد. حيث يتفاعل مع الشخصيات وحتى مع المؤلف. فتصبح تجربة القارئ في التنقل عبر النص الترابطي نوعا من الخطية الشخصية، التي لم تعد مرتبطة بالكتاب المطبوع فقط بل باختياره الشخصي من أين سيبدأ ومتى سينتهي. فالقارئ أو المستعمل كما

وصفه البعض، في السرد التفاعلي مطالب دائما باتخاذ قرارات حول كيفية متابعة السرد، وهذا من شأنه أن يحفز التفكير النقدي لديه، ويشجعه أكثر على الإبداع والتنوع في تجربة القراءة .

لقد فتح السرد التفاعلي أمام القارئ آفاقا جديدة جعلته يسحب من المؤلف السلطة التي كان يتمتع بها في السابق، ليصير القارئ مؤلفا أيضا. وهو ما أشار إليه روني بوراصة Renee Bourassa من خلال تأكيده على أن "الفضاء السردي الذي يوفره النص التفاعلي متعدد الأبعاد؛ يحتوي على عدد كبير من الروابط الممكنة، المتغيرة، الثابتة أو العشوائية. فيختار القارئ طريقه الخاص عبر المتاهة. ويضيف ما استنتجه لاندو أن القارئ يصبح قارئًا–مؤلفًا بدوره النشط في السرد، من خلال خلق مسارات جديدة، وفتح طرق جديدة، والتفاعل مع الشخصيات وحتى مع المؤلف : (Bourassa Renée). 2010. p ". (32هذا يدل على أن المستعمل يشارك بطريقة فعلية في تشكيل النص ومعانيه، و يضيف عمقًا وتنوعًا لتجربة القراءة مما يزيد من متعة التلقي ويعزز تفاعله مع المحتوى. فالنص الأدبي التفاعلي يركب التحدي، يقدم بدائل أمام الأساليب الأدبية التقليدية ويعد بأشكال سردية حديثة. تفتح أمام القارئ الرقمي آفاقا جديدة لاختيار مساره بحرية وفق إرادته الخاصة داخل الشاشة الحاملة لهذا النوع الجديد من الأدب.

" تتحول الشاشة إلى مرآة بسطح أملس يمكن عبوره كما عبرت *أليس*من ثقب في الأرض لتنتقل إلى فضاء افتراضي وغيرواقعي، كل قارئ أو مبحر يحاكي *أليس* كلما أبحر مرتميا في الفضاء السيبرنطيقي لاعبا، حيث يشكل لعبه طاقة حيوية تخصب مخيلته وتجدد لغته وتشركه في النص الرقمي المترابط والتفاعلي عبر التقنيات التي يعتمدها الكاتب في الحكي جاعلا بواسطتها القارئ ينخرط في القصة مساهما في بنائها ومشكلا لعوالمها لدرجة يشعر أن بمقدوره تلمس الكلمات، والضغط عليها، والجري وراءها قبضا على الحكاية المختبئة. يشعر أنه يلعب و أن القصة لعبته التي بإمكانه أن يشارك في كتابتها إلى جانب السارد و الشخصيات. "(لبيبة خمار، العدد الثالث، ص: ٧٧)

مما يسمح للمستعمل بالتفاعل الحر والمشاركة النشطة، والوصول إلى تأويلات موسعة ومعلومات إضافية وهذا ما يضيف بُعدًا جديدًا إلى متعة القراءة. "حيث يعمل التشعب على تفعيل دور المتلقي أو القارئ أكثر من ذي قبل، فهو غير قادر على التعامل مع النص بوصفه وحدة ثابتة، لأنه يراه وحدة متحركة ذات أطراف عدة يمكن أن يبدأ من أي منها دون أن تختل بنيته" (فاطمة البريكي، ٢٠٠٨، ص: ١١٢) .

لقد أصبح الأدب التفاعلي مجالا يشرك القارئ الرقمي ويتفاعل فيه مع النص. جمعتهما التقنيات الحديثة كجزء من عملية الكتابة، بعدما كان مجرد تفاعل بين الكاتب والنص فقط. ويعكس هذا التحول كيف أن اللغة السردية لم تعد العنصر الوحيد في تركيب النص الأدبي، بل أصبحت جزءًا من مجموعة أوسع من العناصر التقنية، تندمج فيها عناصر سمعية بصرية وحركية جديدة، مما يبرز التغيير في كيفية توظيفها في هذا النوع الجديد من الأدب. ويبقى التساؤل المطروح هو: هل تعدد مكونات الأدب التفاعلي ودمجه بين كل ما هو سمعي وبصري كفيل بالمحافظة على جماليته؟ بمعنى آخر إلى أي حد يمكن للوسيط الإلكتروني الحديث أن يحقق الوظيفة الجمالية للأدب التفاعلي؟ وما هي أهم الصفات لهذا النوع الأدبي الجديد حتى يحقق هذه الجمالية؟

إن النص الأدبي التفاعلي يمكن أن يحتوي على عناصر معقدة ومتعددة، لا يمكن تمثيلها بشكل ملائم على الحامل الورقي، مستفيدا مما تتيحه التكنولوجيا الحديثة من إمكانيات، يقوم المبدع بتوظيفها عن طريق إدماج مجموعة متنوعة من العناصر البصرية والكتابية، مما يعزز من تجربة القراءة الغامرة، وفي هذا الشأن يوضح تيد نلسون قائلا: "دعوني أقدم مصطلح النص التشعبي للإشارة إلى مجموعة من المواد المكتوبة أو التصويرية المترابطة بطريقة معقدة لدرجة لا يمكن عرضها أو تمثيلها بسهولة على الورق. قد يتضمن هذا النص ملخصات أو خرائط لمحتواه وللعلاقات بينها؛ وقد يتضمن تعليقات أو إضافات وهوامش من العلماء الذين قاموا بدراسته"، (Nelson Ted ; 1965 , p : 96)

وهذا ما يترجم قدرة النص الأدبي التفاعلي على تخطي نمطية النص التقليدي وتكسير قيوده، ويفسح أمام المؤلف مجالا واسعا للإبداع، بتقديم تصميم يحتوي على ملخصات وخرائط وعناصر تفاعلية أخرى، الأمر الذي يضفي بعدا جديدا على جمالية الإخراج .

وفي السياق ذاته نشير إلى الأسس التقنية والفنية التي يجب اتباعها من طرف المبدع في إخراج وتشكل الرواية التفاعلية الرقمية، يقول عادل نذير في ذلك: "ينهج المبدع في إنتاج الرواية التفاعلية الرقمية إلى كسر النمط الخطي السائد مع الرواية الورقية التي يلتزم فيها المبدع خط سير واضح لا يخالف فيه المتلقي. وإلا خرج دون فهم محدد، وما ذلك إلا لأن بنية الرواية كانت تفرض على المبدع طريقة محددة لتأتي بثمارها، ولن يؤتى ذلك عند مخالفته الطريقة، أما في الرواية التفاعلية فالمسار يكون لا خطياً، إذ إن النص يتحرك على نحو

متفرع تقودك فيه منظومة الروابط (Hyperlink) الاعتماد في كتابتها وتأليفها (الرواية التفاعلية الرقمية) على برامج إلكترونية، ولا تكتسب صفة التفاعلية إلا ببتها على شبكة الاتصال الدولية، عبر أحد المواقع الإلكترونية التي تسهم في تقديمها إلى عدد لا يحصى من المتلقين / المستخدمين في مختلف الأعمار والتوجهات والمستويات الأمر الذي يفرز مستويات تلقي مختلفة، تعكس الاختلافات المرجعية للمتلقين .

ويعتمد الروائي التفاعلي الرقمي أشهر البرامج الإلكترونية وهي: المسرد space story وهو عبارة عن بيئة بسيطة لكتابة تسمح للمتلقي المستخدم بتنظيم شظايا النص في ضوء خلق مساحات للكتابة، ونوافذ يمكن ربط إحداها بالأخرى، فضلاً على إمكانية تضمين النص أشكالاً جرافيكية باللونين الأبيض والأسود غالباً وأصواتاً وأفلاماً يظهرها النص التفاعلي الرقمي. وعلى هذا النحو أيضا برنامج الروائي الجديد new novelistعادل نذير، ٢٠١٠، ص: ٩١(.").

وعطفا على ما سبق، يقول أحد المهتمين بهذا المجال: إن "النص الرقمي يعتمد بشكل أساس على العرض المشهدي وبرامجه والاشتغال على التنسيق بين الحكاية وبرمجيات العرض بشكل محترف يعكس مهارة المبدع في تطبيق تصوراته المسبقة، وعلى أسلوب الكاتب في سرد الأحداث وطريقة عرضها بتكثيف المثيرات البصرية والروابط التشعبية، واستخدام أكثر البرامج تطورا في العملية الابداعية في البنية والعرض".(حافظ محمد الشمري، ٢٠٢٠، ص: ٤٥). فلم يعد النص مجرد كلمات تُقرأ، بل عملا متكاملا يربط بين المحتوى والتكنولوجيا، وتجربة تفاعلية تدمج العناصر السمعية والبصرية والروابط التشعبية، وتحفز الحواس لجذب القارئ وجعله جزءا من العملية الإبداعية.

إننا فعلا "أمام عملية مركبة ومعقدة، يقوم بها الكاتب والقارئ معا. لقد تبدلت الأدوار وتغيرت الوظائف: فالكاتب (صاحب النص، وإليه نسبته يتعدى دور الكاتب الذي كان يستعمل اللغة الأدبية فقط. إنه يجمع بين أنظمة علامات متعددة لغوية وغير لغوية). كما أنه حين يضطلع بدور صاحب التصور العام لإخراج النص، والمنفذ له حتى يصبح قابلا للتجلي على الشاشة، ينتقل إلى ممارسة أدوار أخرى غير الإبداع الأدبي. إنه في آن واحد :

أ. يبدع النص: أي ينقله من مرحلة الكمون إلى التجلي النصي والعلاماتي.

ب. يضع التصور الذي سيكون عليه من خلال تصميم أجزائه ومكوناته وتنظيم علاقاته (الرقام).

ج. ينقل النص والتصور من خلال برنامج معين ليجعله قابلا للرؤية والقراءة على الشاشة (الراقم) .

إنها وظائف متعددة ومتداخلة صار يقوم بها لوحده أو بمساعدة تقنيين مختصين في الجوانب الرقمية. وبحكم هذه الوظائف المتعددة لا يمكننا الحديث عن المؤلف بالمعنى التقليدي. إنه كاتب وزيادة هذه الزيادة، أملا في الاختصار لا يمكننا وصفها إلا بكونها تجعل هذا الكاتب رقميا. إن الكاتب الرقمي هو منتج العمل الأدبي الرقمي بامتياز أي النص الذي يبنى على النصية الترابطية" (سعيد يقطين، ٢٠٠٨، ص: ١٩٩)

جمالية النص الأدبي التفاعلي ومتعة تلقيه.

إن التجربة القرائية لم تعد نفسها كما كانت في النصوص الورقية التقليدية، لقد باتت تجربة فريدة تختلف عن نظيرتها التقليدية. فبعدما كان القارئ مجرد مستهلك سلبي لنص خطي تراتبي الأحداث أحادي العلامة، أصبح متحملا مسؤولية الكتابة عبر الطريقة التي سيختار من خلالها تفعيل الروابط التشعبية، التي تجعل العلاقة تفاعلية بين المستعمل والنص حيث يمكنه الوصول إلى المعلومة بسهولة باتباع طرق متنوعة حسب اختياره. والانتقال بين مسارات وشذرات هذا النص المعقد لا تراتبي لا خطي متعدد العلامة.

فاستخدام الروابط التشعبية من شأنه أن يسهل على القارئ الوصول إلى المعلومة بشكل تلبي حاجياته وتوقعاته. وهذا يزيد من استمتاعه وتفاعله مع النص لما تضيفه هذه الروابط من بعد جديد في تجربة القراءة "فالرابط الإلكتروني يقترب منه القارئ غالبًا بأمل أن يوفر إجابات واقعية، مكملات للمعلومات، وأدلة تقلل من عدم اليقين حول الموضوع في العالم.((Alexandra Saemmer 2015 ; p :17) "

فالمستعمل عندما يفعل الروابط التشعبية، يشبع فضوله المعرفي ويحفزه على البحث والاستكشاف مما يعمق فهمه للموضوع بشكل أكتر. وهذا زيد من متعة القراءة لديه، مما يجعلها أكثر تشويقًا وتحديًا، الأمر الذي يدفع القارئ للتفكير العميق والتفاعل مع المحتوى بطرق جديدة

لكن لا يمكن حصر (فلا تقتصر) وظيفة الروابط التشعبية فقط على الربط بين المعلومات، فاستخدامها ليس بهذه البساطة، بل يحتاج إلى مراحل متعددة للفهم عبر دمج هذه الروابط، وذلك قبل وأثناء وبعد النقر عليها. إن التخطيط الدقيق والتفكير الإبداعي في تصميم الروابط التشعبية بشكل يمزج بين الوعد والتوقعات والتفاعل يعزز من جمالية النص الأدبي الرقمي، ويجعلها أكثر جاذبية وإثارة للاهتمام، وهذا ما

يترجم براعة هذا النوع الأدبي الجديد وقدرته على الجمع بين الشكل والمضمون محدثة تفاعلا ديناميكيا بشكل جمالي متوازن .

وهو ما تمت الإشارة إليه من طرف أليكساندرا سامر: "فإذا قمنا بتقليص دور الرابط التشعبي إلى وظيفته في ربط عُقَد المعلومات، فإننا نساهم في تعزيز الرؤية المثالية والبسيطة الخاصة بشبكة البيانات التي يكفي فهم هيكلها لتتجلى إمكانياتها بكل شفافية. في هذه الحالة، نتجاهل حقيقة أن قراءة النص المترابط تحدث دائمًا على مراحل متعددة: قبل وأثناء وبعد تفعيل الرابط التشعبي، فقبل تفعيل الرابط، يُقدم الرابط التشعبي وعدا للقارئ الرقمي تتشكل توقعاته بناء على الكلمة المرتبطة تشعبيا، والنص المحيط بالرابط التشعبي، وأشكال صفحة الشاشة، وكذلك الخيالات الشخصية والمشتركة اجتماعيا. بناء على كل هذه العناصر، سيعتبر القارئ بعد التفعيل أن الوعد الذي قدمه الرابط التشعبي قد تحقق بدرجات متفاوتة من الوفاء أو الشك أو الخيانة، فلا يزال على القارئ تفعيل الرابط، وألا يكتفي بالثقة العمياء في شفافية النص الرقمي، ولا يزال عليه تقبل أن الرابط التشعبي هو أداة للمعلومات والتواصل في نفس الوقت، وأن هذه الوظيفة الأخيرة تفتح المجال لاستراتيجيات الجدال الدقيقة وكذلك الخداع Alexandra Saemmer 2015 ; p 27 ;28 .)

وعليه، فإن الرابط التشعبي لا يعتبر وسيلة للمعلومات والتواصل، بل محفّزا جماليا يفتح أمام القارئ أبواب الإغراء البصري والتفاعلي، ويدفعه إلى الخوض في مغامرة القراءة الرقمية والارتماء في أحضانها بكل ما تحمله من انسيابية وتحولات. فالقارئ يصعب عليه "مقاومة إغراء الغلاف الإلكتروني فيسارع إلى فتحه لحظة انكشافه على الشاشة، ولا يملك إلا أن يجاري نزق فأرة حاسوبه عند أول تحول لمؤشرها، إيذاناً ببلوغه منطقة النفاذ الملائمة، من سهم محايد إلى يد هي امتداد افتراضي ليد القارئ، يأخذ النص في التخلق والتكون مقطعاً مقطعاً إلى أن يصير كائناً زنبقياً أو أخطبوطياً لا يختفي إلا ليظهر في لون جديد. حينئذ سيدرك هذا القارئ أن مداعبة لوح المفاتيح والتنقل بين أرجاء الشاشة، وتلبية نداءات الروابط ليس سوى مقدمة تستدرجه شيئاً فشيئاً لفخ النص وحباله، وأنه أصبح، بعد فوات الأوان، جزءاً من لعبة النص بعد تعوده على اللعب به." (إبراهيم عمري، ٢٠١٣، ص: ١١٠)

في المقابل تشكل أنظمة الورق، سواء كانت كتبًا مطبوعة أو نصوصًا مبرمجة، تحديات ملحوظة في تقديم تجربة قراءة ملائمة ومتنوعة. كما يوضح النص التالي: "أنظمة الورق لها حدود خطيرة سواء في تنظيم أو تقديم الأفكار. الكتاب لا يناسب القارئ تمامًا أبدًا؛ قارئ يشعر بالملل، وآخر مرتبك من نفس الصفحات. لا يمكن لنظام الورق – سواء كان كتابًا أو نصًا مبرمجًا – التكيف إلى حد كبير مع اهتمامات أو احتياجات قارئ معين أو طالب معين(TH Nelson ; 1965 ; p : 96 ;) .

فعلى عكس التصاميم التقليدية التي تتبع ترتيبا ثابتا وتضم فهارس وأرقام صفحات واضحة، ترسم معالم الطريق للقارئ وتقدم له نظرة عامة عن مضمون النص وتحدد بدايته ونهايته، نجد أن التصميم الرقمي يأتي ليكسر هذه الحدود بفضل الطبيعة التفاعلية والمرنة للروابط الرقمية. حيث يتجنب تقديم هذه الإرشادات المحددة، ويجعل القارئ الرقمي يكتشف النص بترتيبه الخاص، حيث يمكنه التنقل بين الروابط والفصول بدون قيود، هنا نتوقف قليلا لتقديم "فارق بين النص الورقي، والنص الرقمي باعتبار الجانب الأدبي، فإن الورق فضاء تراتبي متعاقب أو ما يعبر عنه بالخطي، وبالإمكان أن يرافق النص الخط عبر الرسم واللون عبر الصورة. أما الفضاء الرقمي، فإن المبدع يستطيع أن يقدم نصه على نحو لا خطي، وكذلك يستطيع أن يتابع النص على نحو لا خطي. أما الرسم والتصوير المرافقان للنص الرقمي، فإنهما إن كانا ثابتين مع الورق، فإنها أكثر قدرة على الحركة مع النص، فبإمكان المتلقي إبقاؤهما أو إزالتهما، وبإمكانه استبدالهما، فضلاً على أن الصوت الغائب مع الوسيط الورقي في حين حضوره مع النص الرقمي" . (عادل نذير، ٢٠١٠، ص: ١٠١).

إن متعة القراءة تجربة تتجاوز مجرد قراءة النص بشكل تسلسلي، إلى قراءة توفر مساحة أكبر من التفاعل والاختيار. تمنح المستعمل التنقل بين معلوماته واختيار مساراته بطرق غير متسلسلة تتجاوب مع رغبته الخاصة، حيث "يستغرق القارئ آخذا بمجامع قلبه، يستثيره ويجعله يطلق العنان لمشاعره، متحررا من قيده المتعارف عليه، لذلك فهو نشاط خارج المؤسسة وخارج ما هو أخلاقي وخارج ما هو ديني أو ثقافي الأمر الذي يجعل منه نشاطا كرنفاليا يعمل على قلب الموازين وذلك في إطار مسيج تحدده جملة: إنا نلعب فقط" . (لبيبة خمار، العدد الثالث، ص: ٨١)

فتجربة القراءة هاته نشاط تثير القارئ الرقمي وتستدرجه للتحرر من سلطة المؤسسة التقليدية بقيودها الدينية، والأخلاقية وحتى الثقافية، وتسمح لمشاعره بتجاوز الحدود المألوفة والتفكير بحرية وكأنه في

كرنفال احتفالي يطغى عليه اللعب، محدد بقواعد خاصة لهذا النشاط. في المقابل يمكن النظر إلى أن هذا التحرر من القيود الاجتماعية، خطوة جريئة وتحدٍ للمبادئ التي يجب الحفاظ عليها، لكن الإشارة للّعب دليل على الوعي بأن هذا التحرر هو مؤقت ومحدد بالقواعد الخاصة بهذا النشاط.

الخاتمة

لقد خلصت هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها:

١. توظيف النصوص الأدبية التفاعلية في البرامج الدراسية والمناهج التعليمية، لما لها من أثر إيجابي في تحفيز حواس المتعلم وتشجيعه على التعلم والبحث والاكتشاف.

٢. تطوير اللغة العربية رقمياً واستثمار كل ما تتيحه التكنولوجيا في ذلك، عبر برمجيات ومنصات تتيح كتابة نصوص رقمية تفاعلية تراعي الخصوصية اللغوية والثقافية العربية.

٣. فهم التحولات التي طرأت على تجربة القراءة وذلك من خلال الدراسات الأكاديمية المقارنة بين النصوص الورقية والرقمية.

٤. تطوير وتنمية القدرة على التفاعل الواعي مع النصوص، عبر تنمية مهارات القراءة النقدية لدى المتلقي الرقمي الذي أصبح يساهم في بناء المعنى بعدما كان مجرد مستهلك سطحي للمعلومة.

ويبقى النص الأدبي التفاعلي كنتاج لتطور الوسائط التكنولوجية الحديثة، خلق فرصا غير مسبوقة في الكتابة الأدبية، مثّلت تحولا جوهريا في بنية النص وآليات اشتغاله. فقد تم دمج كل ما تتيحه التكنولوجيا من إمكانيات لتحقيق تجارب أدبية مبتكرة، شكّلت نقلة نوعية تختلف عن نظيرتها الورقية في فهم بنية النصوص ووظائفها السردية. فبعدما كانت النصوص التقليدية الورقية تعتمد في عرضها على عنصر أحادي هو اللغة، بات المحكي التفاعلي يستند على تعدد عناصر الحكي، من لغة وحركة وصورة وموسيقى وإضاءة. لينتقل الحكي من ثبات القراءة في نمط تقليدي تسلسلي خطي، إلى حكي ديناميكي يُتيح حرية التنقل بين الوحدات النصية عبر الروابط التشعبية باعتبارها لحمة أساسية في بنية المحكي التفاعلي. فهي بمثابة نافذة سردية تربط النص بعوالم الفضاء الأزرق، وتمنح القارئ الرقمي فرصة التفاعل لبناء المعنى، وتوجهه لاختيار المسار الذي يناسبه وفق احتياجاته الخاصة.

إن دمج العناصر الصوتية والحركية من موسيقى ومقاطع فيديو ونصوص وصور في العملية التعليمية من خلال النصوص الأدبية التفاعلية، سيخلق بيئة رقمية تعدّ المتعلم للانخراط في العصر الرقمي في سن مبكرة، وهو ما يساهم في تنمية عقله وإعداده بشكل أفضل لمواجهة التحديات الرقمية المستقبلية. وتشجعه على استخدام الأدوات التكنولوجية بشكل إيجابي وإبداعي محفز للإقبال على القراءة، حيث تجعل منها نشاطا ماتعا غانما بفضل العناصر التفاعلية والوسائط المتعددة مما يساعد على تنمية مهارات اللغة، مثل القراءة والكتابة والفهم، من خلال محتوى غني ومتعدد الأشكال، يعزز الفهم العميق، ويحفز الفضول المستمر على البحث والابتكار. كما يشجع التعاون والعمل الجماعي بين المتعلمين لمناقشة وتبادل الأفكار مع زملائهم لفهم الأبعاد المختلفة للمحتوى الإبداعي التفاعلي.

إن إدراج مثل هذا النوع من النصوص الجديدة في المقررات الدراسية ليعدّ خطوة أساسية نحو محاربة الأمية الرقمية، خاصة في المجتمعات العربية التي تتطلب جهودًا كبيرة لمواكبة التحولات التكنولوجية، حتى نستطيع تأهيل الأجيال القادمة للانخراط بإيجابية وفاعلية مع التكنولوجيا التي أصبحت جزءًا لا يتجزأ من حياتهم اليومية، وجعلها وسيلة لتعميق المعرفة بدلا من الاقتصار على الاستخدام السلبي لها. إلا أنه لابد من مراعاة المرحلة العمرية للمتعلم دون المبالغة في الترابط والتشعب، لأن هذا قد يدخل المتعلم في متاهة يصعب عليه الخروج منها. فالإفراط في توظيف المؤثرات الحسية قد يشوش على ذهن المتعلم ويشتت انتباهه، كما أن هيمنة منطق التفكيك على الحكي مع غياب الخاتمة قد يقوده في كثير من الحالات إلى الحيرة والضياع مما قد يؤثر على عملية التعلم بشكل سلبي.

وعموما يمكن القول، إن النص الأدبي التفاعلي يحق له أن يصير أداة تعليمية شاملة، لأنه يجمع بين المتعة والتعلم، ويعمل على تنمية مهارات الطلاب الشخصية والفكرية، مما يجعله خيارًا مثاليًا لتلبية احتياجات التعليم الحديث في هذا العصر الرقمي.

المراجع

د. إبراهيم عمري، النص الرقمي أصول المفهوم والتجليات الأدبية، الموسوعة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠٢٤.

حياة الخياري، الأدب التفاعلي تحديات الإبداع وإشكاليات التلقي، كلية التربية، جامعة واسط، المؤتمر العلمي الدولي الثامن.

فاطمة البريكي، الكتابة والتكنولوجيا. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٨ .

عمر عاشور، النص الأدبي بين الورقي والرقمي، أسئلة البنية والجمالية، المدونة. المجلد ٨ العدد ٢. جوان ٢٠٢١.تاريخ النشر ٢٠٢١/٠٦/٣٠.

لبيبة خمار، الأدب الرقمي والورقي التكون والاختلاف، الأدب الرقمي ونظرية الأدب، منشورات روابط رقمية، منشورات دار الأمان، العدد الثالث، ص ٧٧.

عادل نذير، عصر الوسيط أبجدية الأيقونة، دراسة في الأدب التفاعلي الرقمي، لبنان: بلد الطباعة، ٢٠١٠.

حافظ محمد الشمري، الأدب الرقمي بين ضبابية العولمة وتداعيات المشهد الثقافي رؤية استشرافية، عمان، مركز الكتاب الأكاديمي، ٢٠١٩، الطبعة الأولى، ٢٠٢٠.

سعيد يقطين، النص المترابط ومستقبل الثقافة العربية، (نحو كتابة عربية رقمية)، مرجع سابق، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٨.

إبراهيم عمري الأدب الرقمي في المغرب، بداية تسلل القارئ إلى كواليس الكتابة الملتقى، شهرية تعنى بالثقافة والفكر والأدب العدد ٢٩ شتاء ٢٠١٣.

Alexandra Saemmer, Rhétorique du texte numérique: Figure de la lecture, Anticipations de pratiques, Villeurbanne: Presses de l'enssib, 2015, Achevé d'imprimer en janvier 2015 par l'imprimerie Bialec (Nancy). — N° d'impression : 84939. ISBN 979-10-91281-45-4.

Bourassa, (Renée). Les fictions hypermédiatiques : mondes fictionnels et espaces ludiques des arts de mémoire au cyberespace. Montréal, Québec : Le Quartanier, 2010.

TH Nelson Vassar college, Poughkeepsie, N.Y. A File structure for the complesce, the changing and the indeterminate. Aug. 24/11:00 - 12:30/Gold ROOM. Session 4: complex information Processing - ACM 20th National conference/1965.

Alexandra Saemmer ;Rhétorique du texte numérique :Figure de la lecture ;Anticipations de pratiques :Secretariat d edition :Silvia Ceccani Achevé d imprimer en janvier 2015p17.

TH Nelson Vassar college, Poughkeepsie, N.Y. A File structure for the complesce, the changing and the indeterminate. Aug. 24/11:00 - 12:30/Gold ROOM. Session 4: complex information Processing - ACM 20th National conference/1965.

Nelson Ted, A File Structure for the Complex, the Changing, and the Indeterminate, ACM 20th National Conference, Vassar College, Poughkeepsie, N.Y. 1965, p: 96. Voir le lien: https://blogs.baruch.cuny.edu/art3057fall2010/files/2010/08/Nelson-AFileStructureForThe-ComplexTheChangingAndTheIndeterminate.pdf.